أم الدحداح الأنصارية

هي واحدة من نساء الصحابة اللاتي كان لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، وهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدنيا الزائل.

أسلمت أم الدحداح حين قدم مصعب بن عمير المدينة سفيراً لرسول الله ﷺ ليدعو أهلها إلى الإسلام، حيث كانت ممن ناله شرف الدخول في الإسلام، كما أسلمت أسرتها كلها، ومشوا في ركب الإيمان.

زوجها أبي الدحداح الصحابي الجليل واحد من فرسان الإسلام، وأحد التلامذة النجباء، وهو من الباذلين في سبيل الله نفوسهم وأرواحهم وأموالهم.

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد: ١١]. قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: **«نعم يريد أن يدخلكم الجنة به»**. قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً، يضمن لي به، ولصبيتي الدحادحة معي في الجنة؟ فقال ﷺ: **«نعم»** قال: فناولني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى.

فقال رسول الله ﷺ : **«اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لعيالك»**.

قال: فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرها لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة.

قال: **«إذاً يجزيك الله به الجنة»**.

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك الله سبل الرشاد ::: إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالواد ::: فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي ::: بالطوع لا منٍّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد ::: فارتحلي بالنفس والأولاد
البر لا شك فخير زاد ::: قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح رضي الله عنها: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشـــــرك الله بخـــــير وفـــــرح ::: مثلـــك أدى مـــا لديـــه ونصـــح
قـــد متـــع الله عيـــالي ومـــنح ::: بـــالعجوة الســـوداء والزهـــو الـــبلح
والعبد يسعى ولـــه مـــا قـــد كـــدح ::: طـــول الليـــالي وعليـــه مـــا اجتـــرح

ثم أقبلت أم الدحداح رضي الله عنها على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنقص ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر.

فقال رسول الله ﷺ: **«كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح»** [1].

وفي غزوة أحد صاح أبو الدحداح: يا معشر الأنصار، إليَّ، أنا ثابت بن الدحداحة، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خشناء، فيها رؤساؤهم، خالد بن الوليد، وعمرو ابن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب فجعلوا يناوشونهم، وحمل خالد ابن الوليد بالرمح، فأنفذه فوقع ميتاً ﷺ، واستشهد أبو الدحداح فعلمت بذلك أم الدحداح، فاسترجعت، وصبرت، واحتسبته عند الله تعالى، الذي لا يضيع أجر منْ أحسن عملاً.

* * * * *

(1) ذكره ابن حجر في " الإصابة " (59/4) وآخر الحديث في صحيح الجامع الصغير برقم (4450).